عقيدتنا بالمهدي (عج)

المناسبة: مولد الإمام الحجة (عج)

الزمان والمكان: 15 شعبان 1419 هـ ق ـ طهران

الحضور: الآلاف من عشاق أهل البيت (عليهم السلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

أهنّئ بمناسبة هذا العيد السعيد العميق في مغزاه ومعناه، الحضور المحترمين الأعزاء وخاصة العوائل المبجلة لشهدائنا الكرام والمعاقين الأعزاء والمضحين، وكل من أتوا من أقاصي البلاد وشرّفوا بقدومهم مجلسنا هذا.

كما وأبارك أيضاً بهذه المناسبة لكل أبناء الشعب الإيراني العظيم, الذي يقف موقفاً مشرّفاً من قضية انتظار واحترام صاحب هذا العصر، وعبّر عن تعلّقه واعتقاده وحبّه لها، وانتفع غاية الانتفاع من نفحات هذا الفيض الإلهي المقدّس.

قضية المهدوية من القضايا الأساسية في الإسلام

إنّ قضية المهدوية من القضايا الأساسية في الإسلام, ولا ينفرد بها الشيعة دون سواهم، وإنما تذهب الفرق الإسلامية بأجمعها إلى أنّ المهدي(ع) من النسل الطيّب الطاهر لرسول اللّه (ص) وأنه سيملأ العالم قسطاً وعدلاً, وسيظهر لإقامة دين اللّه وبسط الحق.

كما ويعتقد غير المسلمين على نحو أو آخر بمستقبل مشرق للبشرية يتحقق خلال قضية المهدوية.

أما الخاصية التي تتفرد بها العقيدة الشيعية في هذا المجال فهي عدم وجود أي غموض فيها؛ لأنَّ الشيعة يحيطون بكل تفاصيل هذا الموضوع, وعلى معرفة تامة بشخصية المهدي (ع)؛ فنحن نعرف وليّنا وسيّدنا وإمامنا، وسيد العالمين؛ ونعرف أباه وأمّه وتاريخ ولادته وكل ما يتعلق بولادته المباركة، وهنالك من نقلوا هذه القضايا بأخبار صادقة موثّقة.

وهذه الأمور كلّها واضحة لدينا ولا لبس فيها.

ومعنى هذا أننا على بيّنة بمن نحب وبمن نؤمن ونعتقد.

كان إمامنا المعصوم، بقية عترة الرسول وأهل البيت، قائماً طوال الأزمنة الأخيرة بين المجتمعات البشرية، وهو موجود اليوم بين ظهرانينا؛ إلاّ أنّ الحكمة الإلهية اقتضت أن نعيش هذا الانتظار الكبير، وأن يعيش الإمام ذاته مثل هذا الانتظار أيضاً؛ انتظار

ذلك اليوم الذي يظهر فيه بنهضة كنهضة الأنبياء تنتهي بنصر ساحق على جبهة الكفر والنفاق، وينقذ العالم من الظلم والجور والتمايز والتسلّط والاستغلال؛ وسيأتي ذلك اليوم ويتحقق هذا الوعد.

أعدى أعداء هذه العقيدة، وأشدّهم عداءً لشخصه منذ يوم غيبته، بل ومنذ يوم ولادته، هم الظلمة الذين اقترنت حياتهم بالجور والتسلّط، وهم مصرّون على مقته وعلى مقت هذه الظاهرة الإلهية وهذا السيف الربّاني.

كما أنّ المستكبرين والظلمة يعارضون اليوم ويناوئون هذه الفكرة وهذه العقيدة، لمعرفتهم بأنَّ هذه العقيدة وهذا الحب المغروس في قلوب المسلمين، والشيعة خاصة، يضيّق على مآربهم الجائرة.

أشرت في وقت ما الى أنّ المستعمرين حينما احتلّوا شمال أفريقيا، قدّم لهم عملاؤهم تقارير ــ وهي مدوّنة وموجودة ــ تفيد بأنَّ محاربة مثل هذه الشعوب في غاية الصعوبة؛ وذلك بسبب اعتقادهم بالمهدوية.

الاعتقاد بالمهدي مصدر فيض ونور وأمل

إنّ هذه العقيدة ستكون بالنسبة للشيعة ــ فيما إذا فهموها على حقيقتها وتعاملوا معها كما ينبغي ــ مصدر فيض ونور، كما أنها توجب أيضاً على كل مسلم وعلى كل مؤمن بها, وعلى كل شيعي أن يسعى فكراً وعملاً للحفاظ على علاقته المعنوية والفكرية بإمام زمانه، وتربية وتهذيب ذاته بالشكل الذي يبعث الرضا في نفس هذا الإمام المعصوم, الذي يحيط ــ بإذن اللّه وإرادته ــ بكل حركة من حركاتنا؛ أضف إلى ذلك أنّ لهذه العقيدة آثاراً وخصائص ذات أهمية بالغة بالنسبة لجميع الشعوب ومنها شعبنا، ومن أهم هذه الخصائص والآثار هو الأمل بالمستقبل.

يعلم كل شيعي أنّ بساط الظلم والجور والتسلّط الموجود اليوم في العالم سيُطوى ذات يوم ــ وقد يكون قريباً جداً، أو قد يكون بعيداً، إلاّ أنه على كل الأحوال سيأتي قطعاً ــ ويوقن أنّ هذا الوضع الذي أوجده المستكبرون في العالم ــ من قبيل الضغط على كل من ينطق بكلمة حق أو ينتهج سبيل الحق، وفرض إرادتهم الفاسدة على الشعوب ــ سينتهي يوماً ما، وسيجد الطغاة والمستبدّون والقوى المتجبّرة أنفسهم مضطريّن للاستسلام أمام الحق يوماً ما، أو أن يُزالوا عن طريق حركة الحق.

وهذه حقيقة يؤمن بها كل مسلم، وكل شيعي على وجه الخصوص.

من الطبيعي أنّ هذه العقيدة تزرع الأمل في النفوس وتدفع كل خير ومصلح إلى أداء واجبه على طريق الإصلاح برغبة مفعمة بالأمل بالمستقبل؛ فانظروا إلى مدى أهمية هذه العقيدة ومدى ما بها من فاعلية وتأثير.

أود أن أعرض في ما يلي نقطة ذات أهمية بالغة وخاصة لأبناء شعبنا؛ وذلك أنّ أهم عنصر يتيح التسلّط على الشعوب هو سلبها الثقة والأمل بالمستقبل, وزرع اليأس والتشاؤم فيها إزاء الوضع القائم.

ترسيخ الثقة بالنفس أساس النجاح والانتظار

تعلمون أنّ ثمّة حركة استعمارية قامت بها الدول الأوربية قبل مئة وخمسين سنة اجتاحت خلالها كل مناطق الشرق ــ بما في ذلك الهند والصين والبلاد الإسلامية وحتى أفريقيا ــ وقيّدوا الشعوب التي كانت شعوباً حرة بقيود العبودية, وأخضعوها لسيطرتهم ونهبوا ثرواتها.

ولكن كيف أتيح للأوربيين الاضطلاع بهذه المهمة العسيرة والسيطرة على شعوب الشرق على الرغم مما تملكه من حضارة عريقة وثقافة ومع وجود تلك الحكومات؟!

يكمن سر هذه القضية في أنّ أول عمل قاموا به هو أنهم جرّدوا الشعوب الإسلامية والشرقية من ثقتها بذاتها، وروّجوا لثقافتهم ونتاجهم الثقافي بأساليب جذّابة, وبواسطة ما أحرزوه من تقدم علمي.

وفي بلدنا ظهر عدد من الأشخاص خلال تلك الفترة كانوا يعتقدون بوجوب الإعراض عن كل ما هو إيراني، والتوجّه نحو كل ما هو غربي، وذهبوا إلى استهجان واحتقار الثقافة الإيرانية, والعادات والتقاليد الإيرانية والتاريخ الإيراني, وحتى ارتداء الزيّ الإيراني، وكل ما هو وطني.

وقد استطاع الأعداء تحقيق هذه النتيجة عبر دعاياتهم، وتمكّنوا من بسط سيطرتهم على هذا الشعب لسنوات طويلة.

أما النجاح الباهر الذي أحرزه الشعب الإيراني ــ الذي أفلح في انتزاع ذاته من مخالب الاستعمار, والإفلات من تحت وطأة التسلّط الأمريكي البغيض ــ فيعود سببه إلى عودته إلى ذاته وإلى دينه وإلى معتقداته وثقافته, وبسبب اعتقاده بذاته واعتماده عليها.

حينما يثق شعب ما بذاته، وحينما يعير اهتماماً لإمكاناته ولثرواته المادية والمعنوية، يمكنه أن يُنجز تقدّماً باهراً ويحرّر ذاته من سيطرة الأجانب؛ كالنهضة التي قامت بها ثورتنا الإسلامية بزعامة إمامنا الخميني الذي كان مظهراً لهذا الاستقلال.

بقيت للأمريكيين على مدى سنوات متمادية اليد الطولى على كل ما لهذا الشعب: على نفطه، وعلى مصالحه، وعلى حكومته، وعلى سياسته، وعلى دوائره، وعلى علاقاته الاجتماعية، وعلى جامعاته، وعلى الدراسة فيه، وعلى كل شيء، وكانوا

يصوغون الأمور وفقاً لما يتماشى مع مصالحهم بشكل مباشر تارة، أو بواسطة عملائهم المتمثلين بالحكم البهلوي الفاسد تارة أخرى.

أمّا تحرر الشعب من مثل هذا العبء الثقيل فيعود الفضل فيه إلى أن الشعب أخذ يستعيد ثقته بذاته وبعقيدته وبفكره وبشبابه؛ ومن الطبيعي أنّ المرء حينما يثق بنفسه وبصحة مساره، يتكوّن لديه أمل بالمستقبل؛ ولقد سار الشعب الإيراني على هذا الطريق وهو مفعم بالأمل.

القضية الأساسية هنا هي: إنّ هذه الثورة الفتية، وبعد مضي عشرين سنة على عمرها الحافل بالنشاط والحركة، تركت أثراً في جميع البلدان الإسلامية، وأثرت إيجابياً في معنوية البلدان الإسلامية، وحرّكت الدماء في شرايين الشعوب كافة؛ وحتى إنّ الكثير من الشعوب غير الإسلامية استفادت من معطيات هذه الثورة.

وفي الوقت الحاضر يحاول أعداء هذه الثورة الذين تلقّوا الصفعات منها تجريد الشعب الإيراني، الذي كان مركزاً لانطلاق هذه الحركة الإسلامية والعالمية العظيمة، من ثقته بنفسه، وزرع بذور اليأس فيه إزاء المستقبل؛ إذ أنهم أدركوا لو أنهم استطاعوا سلب الشعب الإيراني ثقته بنفسه وبمستقبله سينجحون في إيقاف حركة الثورة؛ وفهموا أنّ هذا الشعب ما دام متمسّكاً بدينه وبثورته وبنهج إمامه وبشعاراته ذات المغزى العميق وبمستقبله المشرق، فلن يتسنّى لأية قوى سياسية أو عسكرية أو اقتصادية في العالم أن تتغلب عليه.

الشباب درع الأمة الحصين

أيها الأعزاء ــ وخاصة أنتم الشباب الأعزاء ــ إنكم أنتم أهل هذا البلد, وبأيديكم يجب أن يصان في الحاضر وفي المستقبل، وأنتم الذين يجب أن تسيروا به قُدُماً.

واعلموا أنّ الغاية الأساسية التي يبتغي العدو تحقيقها في الوقت الحاضر هي بثّ اليأس في نفوسكم من المستقبل، وتعتيم آفاق المستقبل أمام أبصاركم؛ كما ويسعى أيضاً إلى سلب ثقتكم مما تعتقدون به اليوم، لكي لا تكونوا على ثقة بالمستقبل ولتكونوا على وَجَل منه؛ ويُركّز على الاستهانة بالعطاء العظيم للشعب الإيراني, وتجاهل التقدّم الهائل الذي أحرزه هذا الشعب خلال هذه السنوات، والتقليل من شأن النهضة الفكرية والعلمية والاقتصادية والسياسية, والنشاط الواسع لشباب هذا البلد في شتّى الميادين.

هذا مع وجود مثل هذا النظام الذي قلّما تجد له نظيراً في العالم، ولم يكن له مثيل في تاريخنا قط.

متى كان الوضع في هذا البلد على هذه الشاكلة بحيث إنّ جميع المسؤولين، ومن بِيَدهم زمام الأمور، وممثلوا الشعب هم من أبناء الشعب أنفسهم؟ ففي الماضي كان الذين يتربّعون على سدّة الحكم وفي الوزارات وفي مجلس النواب ــ ولم يكن هناك في الحقيقة أي انتخاب أو تمثيل وإنما كان النواب يُنصّبون بالتعيين ــ وفي الأجهزة القضائية والتنفيذية أشخاصاً من أبناء الذوات الذين كانت تطلق عليهم ألقاب "فلان الدولة" و "فلان السلطة" في العهد القاجاري، ثم من بعدهم أبناؤهم وعبيدهم في العهد البهلوي، وكانوا أشخاصاً فاسدين وبعيدين عن الأمانة.

كان المجلس الذي يسمى بمجلس الشورى الوطني مليئاً تقريباً بعبيد البلاط وعوائل الذوات من الإقطاعيين, الذين كانوا يتجبّرون على الناس, ويتذللون أمام الحكومة والبلاط، وكان الجهاز الحاكم جهازاً مستبداً لا يأبه برأي الشعب وإرادته؛ وهكذا كان ماضي هذا البلد.

أما اليوم فإن أعضاء مجلس الشورى الإسلامي ينتخبون من بين أبناء الشعب أنفسهم، وهم أناس متديّنون ومتواضعون ومعروفون ومن عوائل معتدلة، وكل المسؤولين وأعضاء الحكومة والوزراء الذين يعملون بإخلاص وشعور بالمسؤولية ينحدرون من هذه الشرائح المتديّنة؛ فرئيس الجمهورية عالم دين متديّن ومتعبّد، والمسؤولون كلهم من أبناء الشعب ولديهم حرص على مستقبله، ويعتبرون أنفسهم من أبناء الشعب وخدماً له.

هل كانوا في الماضي يعتبرون الشعب منهم؟ كلا، وإنما كانوا ينظرون إلى أبناء الشعب كخدم لهم وكمصدر لثرواتهم، ولا يرون المسؤولية إلاّ أداة للإثراء.

أما اليوم فالوضع على العكس من ذلك، ولا تكاد تجد، أو قلما تجد مثل ذلك الوضع في العالم؛ في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية. ومع ذلك فإن الأوضاع السائدة هناك لا زالت بعيدة كثيراً عما عليه الحال في بلدنا.

وهذا من بركات هذه الثورة.

احذروا الأقلام المسمومة

تحاول الأقلام المأجورة المسمومة التقليل من شأن هذه الحالة الشعبية, التي لم تتحقق إلاّ بفضل الله وبهمّتكم وشجاعتكم أنتم الشباب؛ وهذا في الحقيقة شيء لا يُستهان به؛ لأن ألدّ أعداء المصالح الأمريكية هي هذه الحكومة الشعبية الدينية.

يرغب الأمريكيون في وجود أشخاص على رأس السلطة في إيران ممن لا يؤمنون بالله ولا يعترفون بالشعب, ولا يتمسّكون بالأحكام والواجبات الإلهية، ولا يعترفون

للشعب بأي حق، كما كان الوضع في العهد البهلوي؛ ليكونوا على استعداد لتأمين مصالحهم؛ ليأكلوا ويسرحوا ويمرحوا، ويفتحوا في الوقت ذاته أبواب البلد على مصراعيها أمام الأجانب.

إنّ البلد الذي يرعى حقوق أبنائه، ويضع المسؤولين فيه الله نصب أعينهم ويعملون في سبيله، ويؤدي كل من رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة والنواب والمسؤولين الآخرين مهامّهم باعتبارها واجباً مفروضاً، يشكّل مثل هذا البلد خطراً فائقاً على الأجانب والطامعين؛ إذ إنّ أمريكا يتعذر عليها التغلغل في ظل وجود مثل هذه التشكيلات، كما تعذّر ذلك عليهم حتى الآن، ومثلما فشلت وستفشل في المستقبل أيضاً محاولاتهم وخدعهم للتغلغل في بلادنا مرة أخرى.

وهذا الوضع يعتبر بالنسبة للشعب الإيراني وضعاً مثالياً.

تحاول الدعاية المعادية عكس هذه الحقيقة بالمقلوب؛ وهذا ما يوجب على العاملين في أجهزة الإعلام والكتّاب أن يعوا ما يكتبون, ويتنبهوا إلى ما يسرّ العدو, وما يشيع القنوط في قلوب أبناء الشعب.

يجب على ذوي الرأي والفكر ممن يتسنّى لهم التعبير عن آرائهم، الالتفات إلى ما يجب عليهم قوله، وكيف ينبغي لهم قوله، وأن لا يتصوروا ــ تبعاً لِما تبثّه الإذاعات الأجنبية ــ وكأنّ هذا البلد تسود أجواءه حالة من الكبت والاستبداد.

حينما كان الاستبداد والطغيان جاثماً على صدر هذا الشعب، لم يثر حينذاك أي احتجاج لا من الأمريكيين ولا من الأوربيين، ولم تنطق إذاعاتهم بكلمة واحدة ضد ذلك الطغيان، ولم يثيروا قضية حقوق الإنسان، بل كانوا يتمنّون من الله أن تستمر تلك الأجهزة في الحكم، ولم تنبس الأقلام المأجورة ــ التي تتناهى اليوم أصواتها إلى الأسماع من الداخل والخارج ــ بأية كلمة يومذاك.

أما اليوم، فبما أنّ الأجواء إسلامية وشعبية، والحكومة منبثقة من بين أبناء الشعب أنفسهم، والمسؤولين يحظون بمحبّة أبناء الشعب، والقلوب مُتوادّة متحابّة في ما بينها، وقد استوعب أبناء الشعب مسؤوليتهم في شتّى الميادين، وأصبح البلد محكوماً برأي الشعب وبإرادة الشعب وبحكم الله وحكم الدين، نجد أجهزة الدعاية المعادية عاكفة اليوم على تعكير صفو الأجواء، كما ويحاول من يُحاكيهم السير على نهجهم تماماً، وترديد أقاويلهم والإيحاء وكأن البلد محكوم بالاستبداد والطغيان والتسلّط.

لا تدفعكم الحرية لأن تقولوا أو تتبعوا غير الحق

حينما كانت الدكتاتورية تحكم هذا البلد، لم يتجرّأ أحد على معارضة الحكومة والنظام، حتى في المنشورات السريّة؛ وإذا وُزّع منشور سرّي وعثروا على الفاعل كانوا ينزلون به أشد العقاب، واليوم يكتب البعض في الصحف الرسمية للبلد ويتّهم النظام بممارسة الكبت، فإذا كان ثمّة كبت، فكيف أُتيح ويُتاح لكم اتّهام النظام بالكبت؟! وكيف يتسنّى لكم أن تكتبوا وتنشروا كما يحلو لكم وبما يتماشى مع رغبة الأعداء؟!

من الطبيعي أنّ الكتّاب الخيرين، والمطبوعات الصالحة غير قليلة في بلدنا بحمد الله، والذين يتفهّمون الأوضاع السياسية للبلد غير قليلين؛ وهنالك البعض أيضاً ممن يميل إلى التحدث كما يشتهي العدو وبما يبعث في نفسه السرور، وإن كان ذلك يبعث على تحطيم قلوب أبناء شعبنا، وإن كان يبعث اليأس في شبابنا، وإن كان فيه سحق لدماء شهدائنا، فَهُم لا يعبؤون بذلك كثيراً، وهم لا يفهمون ما يكتبون وما يقولون.

ولكن على الرغم من إرادة الأعداء، وعلى الرغم ممن يعجزون على رؤية الحقائق، وعلى رغم أنوف من لا زالوا يتمنّون وجود النظام البهلوي ــ في الداخل والخارج ــ فإن نظامنا الإسلامي اليوم نظام مقتدر وحيوي وفتي, وذو مستقبل مشرق, ويملك كل أسباب التقدم: من وجود المسؤولين الصالحين، والشعب الصالح، والعلاقات السليمة بين الشعب والمسؤولين؛ ومثل هذه الإمكانات كفيلة حتى بزحزحة وإزالة أكبر الجبال.

ومن الطبيعي أنّ العدو لا ينفك عن وضع العراقيل, ولا يتوقف عن ممارساته الخبيثة الرذيلة، والضغط على اقتصاد البلد.

وعلى من يردّدون على الدوام بأنّ إقتصاد البلد لا علاقة له بالأعداء الأجانب أن يستفيقوا ويعودوا إلى رشدهم؛ فقضية انخفاض أسعار النفط التي أدّت إلى تقليص ثلث عائدات الدولة ــ وربما أكثر من ذلك ــ في هذا العام، ليست بالأمر الهيّن.

إنّ الحكومة والمجلس والمسؤولين الآخرين عاكفون على بذل الجهود، وسينجحون إن شاء الله باجتياز هذه العقبة، فهي ليست بالقضية المهمة، ونحن سبق لنا وأن واجهنا ما هو أشد عسراً منها، وتجاوزناه.

والعدو كثيراً ما يسعى إلى خلق مثل هذه المشاكل، وهو لا يقف مكتوف الأيدي إزاءنا.

لا شك في أنّ هذه الضغوط ترمي إلى تعجيز الشعب والمسؤولين؛ لكي ينصاعوا لهم ويذعنوا لتسلّطهم، إلاّ أنّ على الشعب والحكومة والمسؤولين، والشباب على وجه الخصوص، توثيق صلاتهم في ما بينهم، وترصين الجبهة الداخلية للشعب الإيراني وتنحية الاختلافات الفرعية جانباً، وتنقية أجواء البلد من التوتّر والاضطراب ــ وهو ما يبتغيه العدو ــ وأن لا تهاجم التيارات السياسية بعضها بعضاً على نحو حاد وعنيف.

إنّ الاختلافات السياسية موجودة في البلد، وهنالك تيارات لكل واحد منها رأيه، ولا إشكال في ذلك، ولكن لا ينبغي أن يهاجم بعضهم بعضاً بعنف وشراسة، ولا أن يبعثــوا السرور في قلوب الأعادي؛ وعليهم أن يصونوا وحدة البلاد.

وعلى الصحف، والإذاعة والتلفاز، وكل من له تأثير في الرأي العام، أن يلتفتوا إلى مهمّتهم الخطيرة في هذا المضمار.

نسأل الله ببركة سيدنا ومولانا وسيد العالمين، الحجة بن الحسن المهدي (أرواحنــا فداه)، وبفضل دعائه لنا وحضوره المعنوي في قلوبنا وأجواء مجتمعنا أن تزول كل هذه المشاكل، ويخيب أعداؤنا مرة أخرى، وأن يحظى الجميع برضا الله ولطفه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته